كلمة العدد

أهلا بالتنافس.. المحمود

بقلم

د. محمود أبـو العزائم

رئيس التحرير

انتهى العام الدراسى وظهرت نتائج الامتحانات ونجح فيها من نجح ورسب فيها من رسب وبدأ الأهل فى الاستعداد لما بعد النتائج خصوصا فى الشهادات العامة مثل الإعدادية والثانوية العامة ،حيث يبدأ الأهل فى البحث عن المدرسة أو الكلية التى تقبل أبناءهم حيث تقبل كليات القمة مثل الطب والهندسة الطلاب المجتهدين الحاصلين على المجاميع المرتفعة بعد منافسة ومجهود مضن يُكلل بالنجاح في دخول الكلية التى ترضىَ طموح الطالب وأهله، بينما لا يستطيع طلاب المجاميع المتواضعة دخول أى كلية ،ويظل الأهل يبحثون لهم عن مكان فى الكليات الخاصة بمصاريف حتى يستطيعوا مواصلة رحلة التعليم العالى ،كل ذلك بسبب عدم بذلهم المجهود اللازم للتفوُّق والمنافسة على المراكز المرموقة فى الحياة .وهناك قلة من التلاميذ تحب التنافس فيما بينها على التقديرات المرتفعة ،ولكن الأغلبية العظمى تكره المنافسة وتدخلها فى كآبة وشعور بالإحباط ،وهذا يضر بالتحصيل الدراسى وبالعملية التعليمية ككل.

وهنا نتحدث عن أهمية المنافسة كحافز إنسانى يدفع المرء للسعى والاجتهاد والتفوق فى ميادين الحياة، ولكن هل كل منافسة مطلوبة ومفيدة فى الحياة؟!

تتنافس الأمم فى كل مناحى الحياة. فى العلم..فى الرياضة..فى الصناعة..فى التجارة والفنون والآداب. هذا التنافس ضرورى من أجل الإبداع الإنسانى ومن أجل السمو البشرى ومن أجل اكتساب المزيد من القدرات واكتشاف العظمة الإنسانية التى فضلها الله سبحانه على كثير من خلقه تفضيلا.

ان التنافس هو أمر مفيد للمجتمع ويعمل على تحسين أداء الأفراد والمجموعات ،ولكن يجب أن يتم تحت غطاء قوانين وقواعد أخلاقية ،وإلا فسيتحول إلى تناحر بين المتنافسين ،تباح به كل الحرمات والأصول المهنية والثوابت الأخلاقية. وعلى المشاركين به أن يقبلوا نتيجة التنافس مهما كانت ،لأنه إذا لم يتقبل الأفراد نتائج التنافس فسوف يتحول الأمر إلى صراع. والخاسر الأول فى هذه الصراعات هم المتنافسون أنفسهم ،والثانى هو الفرد أو المواطن. وبغياب تنافس شريف ونزيه بين الأطراف يتحول المنافسون إلى خصماء ،ومن بعدها الى أعداء.

والتنافس كان ومازال «المحرّك الرئيسى» الذى يحرك الاقتصاد ويجبر الشركات المتنافسة على أن تسعى جاهدة لتخفيض الأسعار وإلى تقديم خدمات أفضل لكى تكسب رضا العميل.

والتنافس موجود فى نواحٍ حياتية أخرى كالرياضة ..حيث يسعى كل رياضى أو فريق أن يكون الأول فى الرياضة التى يمارسها، وهذا يؤدى إلى رفع مستوى الأداء الرياضى وإلى تحطيم الأرقام القياسية كل سنة من جديد.

وهناك أيضا تنافس على «كرسى البرلمان» فى الانتخابات ،والتنافس بين التلاميذ على المكانة الأولى فى الدراسة.

وبشكل عام، التنافس هو أمر مفيد للمجتمع ،ويعمل على تحسين أداء الأفراد والمجموعات ،وهو صاحب الفضل بالتطور التكنولوجى الهائل الذى آل إليه المجتمع.

أخى القارئ ..تعال معى نتخيّل عالماً بدون تنافس؟! أولا، أسعار السلع سترتفع إلى السماء ،ومستوى الخدمات سيصل إلى الحضيض. وهذا ما نشهد بعضا منه اليوم بسبب غياب تنافس حقيقى بين شركات الهواتف المحمولة التى تلزمنا بدفع مبالغ طائلة كل شهر ،دون أن تقدم لنا خدمة جيدة مقابل تلك الأموال. ونفس الشىء نلمسه فى البنوك التى تلزمنا بعمولات لا أول لها ولا آخر دون أن نستطيع النقاش.

******

أخى الكريم..لقد حث الدين الإسلامى على التنافس وقال تعالى: (وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) [المطففين: ٢٦].

والتنافُسُ المحمود يُثرى الحياة، ويجعل المسلمَ يطمحُ إلى السموِّ بنفسه والارتقاءِ بعلمه وعمله للسعى إلى الكمال. وقدسرت روحُ التنافس فى نفوس أصحاب الهمم، وأعلاهم قدرًا أنبياءُ الله ،فنبى الله موسى - عليه السلام - بكى لما تجاوزه النبى - صلى الله عليه وسلم - غبطةً، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: «أبكى لأن غلاماً بُعث بعدى يدخل الجنةَ من أمته أكثرُ ممن يدخلها من أمتي». ويقول رسولنا الكريمُ - صلى الله عليه وسلم -: «فأرجُو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

وقد بث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى أصحابه مُبدأ التنافس وخلق التسابُق؛ ليرتقوا سلم الوصول ،ورسم لهم أهدافا عالية فى أحاديثٍ لا حصرَ لها، منها:

أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تنافسَ بينكم إلا فى اثنتين: رجل أعطاه الله - عز وجل - القرآن، فهو يقوم به اللّيل والنهار، فيتتبَّعُ ما فيه، فيقول الرجل: لو أعطانى الله مثل ما أعطى فلانا فأقومُ به مثل ما يقومُ به فلان. ورجل أعطاه الله مالاً يُنفِق ويتصدق، فيقول رجل مثل ذلك».

ومما رغَّبَ فيه النبى - صلى الله عليه وسلم - المنافسةَ على الصفِ الأول، وفى الحديث: «لو يعلمُ الناسُ ما فى النداءِ والصفِ الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما فى العتمةِ والصُّبحَ لأتوهما ولو حبوًا».

وفى المقابل .. نهى الإسلام عن التنافس المذموم، ومَنْشؤه التنافس فى الدنيا واتباعُ الأهواء، قال رسُول الله - صلى الله عليه وسلم -:«فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسِطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم».

وقد أدى التنافسُ على الدنيا إلى التصارُع بين الإخوة والأقارب، وسبَّب القطيعةَ والبَغضاءَ والشحناء، فكثُرت الخصومات، واشتدت المنازعات.كذلك يؤدى التنافس الشديد بين التلاميذ إلى الغش فى الامتحانات للحصول على أعلى الدرجات بدون بذل المجهود المناسب.

ومن التنافس المذموم: تنافس القنوات الفضائيَّة فى إغواء الناس وإغرائهم بالمحرَّمات؛ حيث يُزيِّن لهم الشيطان سوءَ أعمالهم. يتنافسون على الخسران المبين، فتفسد العقول، وتحطمُ الأخلاق.

ومن التنافس المذموم: الإسراف والبذخ فى الأفراح، وعدمُ احترام النعمة فى هذهُ الاحتفالات فى ظل غياب مراقبة الله والعقل والحكمة، مع عدمَ الاعتبار بما يموجُ فى العالمَ من فقر وشدةٍ وضيق حال.

ومنَ التنافس المذموم: الممارساتِ الخاطئة فى الميدان الرياضى الذى أدى إلى التناحر والتنافر والتنابُز والتباغض، حتى انحرفت عن أهدافها ومقاصدها.

إن التنافس المذموم (الهدام) كثيراً ما يترك وراءه الخصومة والعداء , ويؤدى إلى انتشار الاتجاهات الضارة مثل الكراهية والحسد والكبت , وهى أمور تنحرف بالتنافس عن صورته الإيجابية المطلوبة على اعتبار أن التنافس بين الأفراد والجماعات من العوامل الهامة التى تدفع بالمجتمع إلى التطور والتقدم.

أخى القارئ أهلا بالتنافس المشروع الذى يحث علية الدين الإسلامى ،الذى يحفز الجميع على النهوض بوطننا الحبيب لكى يكون منارة للعلم والإيمان.